الباب الثاني
العمارة في العصرين الراشدي والاموي

عندما بزغت شمس الاسلام وشع نورها وانار الكون حرص النبي الكريم محمد (ﷺ) والخلفاء الراشدون من بعده على تجنب كل مظاهر البذخ والاسراف في العمارة والزخرفة والتطاول في البنيان لانشغال المسلمين آنئذٍ بالفتوح وتثبيت اركان الدين وقد كان مسجد الرسول (ﷺ) في المدينة المنورة مثالاً للبساطة والبعد عن كل مباهج الفنون فهو ساحة مكشوفة مساحته عند تأسيسه (٦٣ × ٧٠ ذراعاً) يحيطها جدران من الجهات الاربع ولم يكن له في اول الامر سقف وعندما شكى المصلون حرارة الشمس وماء المطر اضيفت اليه ظلة محمولة على جذوع النخل في الجهة المقابلة لبيت المقدس عندما كانت القبلة اليها اول الامر مكونة هذه الجذوع ثلاثة اساكيب وسبعة بلاطات وكانت الجدران مبنية بالحجر واللبن وظلته مسقوفة بجريد النخل.

وعندما تغيرت القبلة الى الكعبة بنيت في المسجد ظلة ثانية في الجهة المقابلة للظلة الاولى التي تركت لسكنى اهل الصفة وما بين الظلتين صحن مكشوف (شكل ١٧).

وسع المسجد النبوي في زمن الرسول (ﷺ) نفسه وزيد فيه في الجهتين الشرقية والغربية واصبح مربع الشكل تقريباً (٩٠ × ١٠٠ ذراعاً) واصبحت بلاطاته عشراً.

وجدد المسجد على عهد الخليفة ابي بكر (رض) ثم وسعه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) من جهة القبلة والغرب والشمال وبناه بما بني به زمن النبي (ﷺ) وجعل للمسجد ستة ابواب.

وبقي هذا المسجد الشريف على بساطته وتخطيطه حتى زمن الخليفة عثمان بن عفان (رض) حيث وسعه بعد ان ضاق بالمصلين «وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج.» ولعله اضاف ظلات اخرى في الجوانب الباقية من الصحن (شكل ١٨) واصبحت مساحته (١٦٠ × ١٣٠ ذراعاً) وبقيت الابواب ستاً كما في زمن الخليفة عمر (رض) كما سمح في خلافته للرعية بالاستقرار في المدن والامصار والبناء فيها فبنيت القصور الفخمة التي اشادت بذكرها المراجع والاخبار.

وفي العصر الاموي جرت زيادة هامة على مسجد الرسول (ﷺ) اذ زيد في الجهات الاربع وادخلت حجرات زوجاته في هذه الزيادة واصبح تخطيط المسجد من صحن مكشوف يحيط به بيت للصلاة ومجنبتين ومؤخرة وكلها تطل على الصحن ببوائك مفتوحة فوقها شرفات ويرجح ادخال المحراب المجوف في هذه التوسعة والمقصورة الخشبية بدلاً من مقصورة عثمان (رض) الحجرية كما جعل في المسجد اربع مآذن واحدة في كل من زواياه الاربعة (شكل ١٩ و٢٠).

وهذا التخطيط (بيت الصلاة - جنبة شرقية - جنبة غربية - مؤخرة - صحن اوسط) صبح تقليداً ونموذجاً سار عليه المسلمون في كل المساجد التي انشئت في العالم الاسلامي قريباً. وقد يستغنى في بعض الاحيان عن المؤخرة أو عن الجنبتين ويكتفى ببيت لصلاة فقط والامثلة على ذلك كثيرة وفي العصر الاموي شيدت مساجد عظيمة كما اعيد بناء القديم منها وزخرفتها وبنيت قصور شامخة اشادت بذكرها الكتب والمصادر وبرزت هذه الفنون بصورة خاصة بعد انتقال عاصمة الخلافة الى دمشق في عهد الخليفة معاوية بن ابي سفيان الذي رأى ان الامر يتطلب تشييد مساجد وقصور لا تقل فخامة عن ابنية الامم الاخرى فبدأت في الدولة الاسلامية حركة بناء نشطة شجعها سهولة جلب المواد البنائية واستقدام العمال والفنيين من مختلف انحاء الدولة (نظام الاستدعاء والمشاركة - او نظام الليتورجيا) وبقيت تلك الحركة مستمرة خلال العصور التالية بين مد وجزر.